شخصوا الحوادث الاولى التي شاهدوها من حوادث الطاعون بالانفلونزا الدماغية والانفلونزا المصحوبة بالفلغمون

وكل الوسائل التي رآها رجال الصحة لازمة استُعملت في الاسكندرية من غير تعب ولكن ما دام الوباء موجودًا في موانئ كثيرة شرقي القطر المصري وغربيهُ فلا يبعد ان يظهر فيهِ من وقت الى آخر ولو ثبت نجاح الوسائل التي استخدمت في الاسكندرية وبورت سعيد سنة ١٨٩٩ و١٩٠٠ ولذلك احسنت الحكومة الخديوية بمنحها مبلغًا من المال هذه السنة لينفق على الوسائل الواقية من الوباء لانهُ اذا عُرفت الحادثة الاولى التي تحدث في مدينة من مدن القطر المصري البحرية واتخذت الوسائل اللازمة حالاً فلا اظن ان الوباء ينتشر بعد ذلك انتشارًا كثيرًا

واستلفتُ انظار نظامتكم في ختام هذا التقرير الى الاعمال العظيمة التي قام المستر غراهم والماجور غارنر والدكتور بتر والدكتور غوتسلك لاستئصال الوباء في بورت سعيد والاسكندرية خدمة للحكومة الخديوية (الامضا) ه . ه بنتشنغ

رواية أمينة

الفصل السادس

جاء شهر رمضان . الصوم نهارًا والولائم ليلاً . تزاور الاصدقاء والخلان ومخرت السفن في اليوغاز نقلُ الشبان وهم يغنون و يطربون والهوانم يرقبنهم من وراء الشبابيك ويرشقنهم بالازهار والرياحين . واوقدت المصابيح الكثيرة في حوانيت بيرا . وتوالت الليالي الراقصة في شكلي بعد ان كان منذ سنوات قليلة من اقل الاحياء عمارةً . هذه المراقص قذًى في عيون الهوانم لانهنَّ محرومات من الذهاب اليها ولان كثيرين من الشبان عكفوا عليها وتركوا عادتهم القديمة الذهاب في القوارب ونشد اناشيد الحب والغرام

ظهرت مجالي الزينة في كل القصور ما عدا قصر نصرالله باشا لان نافذ بك لم يكن قد تعافى . شفي من مرضهِ وذهب الى السرعسكرية مرتين ولكنهُ كان لا يزال ضعيفًا جدًّا لا يستطيع الخروج ليلاً

كانت الليلة الثالثة من رمضان وكان الحرُّ شديدًا فلم نكد ننهض عن الطعام حتى خرجنا الى الحديقة ووضعت المصابيح في الرواق فاتانا من نورها ما يكفي ليرى بعضنا بعضًا .

وخرج نصر الله باشا وادهم بك لزيارة اصدقائهم ومضى علي بك الى بيرا وكان يملوك نافذ بك قد تغير في الاسبوعين الاخيرين فجعل يكلمني كلام الصديق الى الصديق وكان يعرفهُ هذا وسطاً بين الحالتين السابقتين حالة التودُّد الشديد والنفور الشديد . والظاهر ان شيطانهُ تغلَّب عليهِ تلك الليلة فجعل يتصدَّى لي ولمحتْ وحيدة هانم منهُ ذلك فزجرتهُ وقالت اليك عن هذه المسكينة واسمع قصة عادلة نفر . وكانت هذه المرأة تحكي لنا حكاية طويلة ووقفتْ عن الكلام حينئذٍ . فقال لها ما لكِ وقفتِ عن الكلام يا امَّاهُ انسيتِ عمَّن كنتِ تتكلمين عن الرجل الذي هجم على خمس مئة وحدهُ وعسى ان يغلبهم . فقالت نعم باذن الله فانهُ مؤمن وهم كفَّار ما قولك في ذلك . فقال لا شيء ولكن يظهر انهُ لم يبقَ بيننا احد من المؤمنين لاننا لا نرى احدًا يهجم على خمس مئة وحدهِ ويتغلب عليهم . ولا شبهة في ان الرجل من أسلافنا كان يساوي عشرة منا

ولما قال ذلك ادارت شينستا وجهها كانها استاءت من كلامهِ ووضعت بهية ابنة وحيدة هانم ذراعيها حول عنقهِ وقالت لهُ اني لا احب هذه الحكايات لان مس آمي تقول انها مضرَّة

وكانت مس آمي هذه معلمة تأتي ثلاث مرات في الاسبوع وتعلم الاولاد الانكليزية والفرنسوية

فقال لها كيف عرفتِ هل سمعتِ هذه الحكايات منها . فاجابتهُ كلاَّ ولكن حدثتني حكاها لها فقالت لا يليق بالاولاد ان يسمعوا هذه الحكايات وحكينا لها حكايات امينة فاستحسنتها وقالت هذه حسنة جدًّا

فالتفت اليَّ وقال لي اسمعت يا امينة ما قالتهُ مس آمي فهي لا تحسب غيرك اهلاً لقص قصص يقبلها ذوقها فاسمعينا هذه القصص

فقلت لهُ ان قصصي لا تحكى الاَّ للصغار . فقال اذًا عدِّيني منهم لاني مثل بهية لا احب حكايات عادلة نفر . ثم التفت اليها وقال لها دعينا من هذه الخرافات يا اماه وتعالي البصري لنا بحتنا ان كانت الاصداف معك

فقال الجواري احسنتَ يا نافذ بكْ تعالي البصري لنا بحتنا وابتدئي بهانم افندي

فضحكت هانم افندي وقالتْ ما لكم وبحتي فاني عجوز ولكن اعطوني صدفة لاري بها بحت شخص آخر . فقال نافذ بك عرفتُ من تقصدين فلا يهمني ما يكون بحتي تعالوا يا اولاد قد حرمتكم من الحكاية ولا بدَّ لي من ان اعوضكم شيئًا آخر تعالوا نذهب لنصطاد البومة التي اقلقت امي البارحة فانا اذا تركناها تبني عشها في الكشك حسبت امي ذلك دليل الشؤم . وهي الآن في اعلى البرج فوق التلة

فنهض الاولاد كلهم وقالوا لهُ هيَّا بنا ياعمَّاهُ . فصرخت وليَّة هانم اتمضون في الظلام لا تأخذهم في هذه الظلمة لئلاَّ تلسعهم حية او عقرب . فقال لها سكني روعك فاني لم أرَ والدة اشد منكِ قلقاً على اولادها . انظري الى وحيدة فانها لم تقل شيئاً ولم تخَف على ولديها . فقالت وحيدة لا خوف على الصبيان ولكن بهية تخاف جدًّا فلا تأخذها معك . فقالت بهية لا اخاف اذا ذهبت امينة معي قولي لها يا امي لتذهب معي . فقالت امها كلاَّ لا تستطيع ان تذهب معكِ اذ لا بدَّ لكم من المرور في السلاملك وامينة لا تستطيع ان تمر بين الرجال . فقال جودت ألا تستطيع ان تغطي رأسها . وقال محسن بن علي بك الاكبر لماذا لا تأتون كلكم ألا يمكنهم ان يأتوا يا عماهُ . فقالت وليَّة هانم ياحبذا ولكن ذلك ضرب من المحال . فقال نافذ بك لا ارى ما يمنع ذهابنا كلنا اذهبْ يا جودت وقل للرجال ان يبعدوا من هناك . فقالت لهُ امهُ لعلَّ اباك يعترض على ذلك . فقال لها ان اعترض فانا اتحمل اللوم كلهُ . ونحن الآن في رمضان وكل احد يخرج من بيتهِ ليلاً ولسنا قاصدين الاَّ ان نمشي في ارضنا تعالي يا امي ولا تمنعي الاولاد من سرور ليلة . وامسك بيدها وانهضها ووضع شالاً على كتفيها وقال لها غطي بهِ رأسكِ ان خفتِ ان يراكِ احد . فقالت أأنا ايضاً ألا يمكنكم ان تذهبوا بدوني . فقال كلاَّ اتظنين اننا نذهب ونتركك وحدكِ هو ذا ابي ما تقول افندم فان مرادي ان اذهب مع الاولاد والبنات الى اعلى التلَّة وامي تظن انك لا تستحسن ذلك (وكان نصرالله باشا قد دخل حينئذٍ) فقال لماذا لا استحسنهُ ولكن لماذا لم تختاروا ليلة انور من هذه الليلة فان الظلمة حالكة تحت الاشجار . فقالت وليَّة هانم وهذا هو المقصود حتى نضحك على مَن يخاف . فقال اذهبوا اذًا وساتبعكم حالما اظن انهُ ينقطع ورود الزوار وضعوا المصابيح في الكشك وخذوا القانون معكم وساقول للخدم ليأخذوا لنا العشاء الى هناك فنبقى الى المدفع الاخير . لا تضعوا اليشامك ولكن اخبروا الرجال ليبعدوا من الطريق

كان مصيف نصرالله باشا مثل سائر القصور على البوسفور وراءهُ تلَّة عالية في اعلاها كشك فيهِ غرفة كبيرة للاستقبال وغرفة للمائدة واخرى للنمامة . وكان ادهم بك ينزلهُ احيانًا حينما تأتي عائلة نصرالله باشا اقضاء فصل الصيف هنا وقد وضع فيهِ اثاثًا فاخرًا لم يجرِ فيهِ على الاسلوب التركي الحديث المعروف بالاسلوب الافرنكي وهو صمد المقاعد والكراسي الى جدران الغرف ووضع مائدة مذهبة في الوسط بل عاد الى الاسلوب التركي القديم ونوَّعهُ قليلاً حتى يوافق الذوق الاوربي المهذَّب فوضع فيهِ الارائك الوثيرة والستائر اللطيفة الالوان والكراسي المختلفة الاشكال وزرع حولهُ الازهار والرياحين والاشجار الغبياء

فصعدنا في التلّة وامامنا عبدان معهما المصابيح الى ان بلغنا اعلاها وهناك خيمة كبيرة فدخلتها هانم افندي وجلست فيها واخذ جودت مصباحاً بيده وصعد الى اعلى البرج ليطير البومة . فلما طارت اطلق نافذ بك بندقيتهُ عليها فاخطأها ولم يطلق عليها طلقاً آخر بل قال دعوها تذهب اذ ليس الغرض قتلها بل منعها من ان تعشش هنا ولن تعود الى هذا المكان ثانية . والآن ماذا تريدون ان نفعل يا اولاد فقال لهُ محسن خذنا الى البستان فقال لهُ أحسنت ولكن لا احد يتجاسر ان يذهب معك في هذا الظلام فقالت وليّة هانم انا اذهب وتذهب معنا امينة ايضاً ألا تذهبين يا حبيبة فالتفت نافذ بك اليّ وقال ألا تخافين من العفاريت والغيلان والافاعي فان كنتِ لا تخافين فتعالي معنا

فسرتُ معهم وكان البستان على الجانب التالي من التلّة وهو مملوء باشجار الفاكهة والظاهر انهُ كان قبل ذلك حديقة غناء لان في وسطهِ صخراً كبيراً مجوّفاً كمغارة وفيهِ ينبوع صغير يجري الماء منهُ الى بركة وراءهُ . وبقينا سائرين الى ان بلغنا باب البستان ففتحهُ نافذ بك ودخلنا وسرنا فيهِ ونحن في ظلام دامس لان الاشجار كانت قريبة بعضها من بعض . وسار ولدا وليّة هانم بجانبها يجرانها جرًّا وهي تصرخ كلما داست رجلها على عود او غصن . ومشيتُ انا وراءها ونافذ بك الى جانبي ويدهُ قريبة من يدي ليساعدني اذا عثرت او زلت قدمي او ليبعد اغصان الشجر المعترضة في طريقي

واخيراً وصلنا الى الصخر واراد جودت ومحسن ان يصعدا عليهِ فمنعهما نافذ بك وقال لهما ان صعدتما وزلّت بكما اقدامكما وقعتما ودققتما عنقيكما اوغرقتما في البركة على الجانب الآخر ولكن تعاليا الى داخل الصخر فان فيهِ مكاناً تعشش فيهِ الطيور . فقال محسن نعم نعم وتبعهُ المصباح بيدهِ ودخل وجرّ امهُ وراءهُ وتبعهُ بقية الاولاد وبقي نافذ بك خارجاً ونظر اليّ وقال اتريدين ان تتبعي الاولاد او تبقي هنا . ونظرتُ فرأيت الظلام دامساً في جوف الصخر فخفت قليلاً وقلت بل افضّل الذهاب الى البركة على الجانب الآخر . فسرنا كلانا حتى بلغناها وكانت الارض حولها بساطاً من الاعشاب والازهار تظللها شجرة كبيرة ممتدّة الاغصان وكان السكوت تاماً لا يسمع الاّ صوت وليّة هانم وهي تصرخ مع الاولاد

فضحك نافذ بك لما سمع صراخها وقال ما اجن اباها حتى زوّجها برجل اكبر منها كثيراً

فقلت لهُ ولماذا فعل ذلك وكيف تزوّج بها ادهم بك وهو كهل وهي في الرابعة عشرة من عمرها

فقال ان اباها جُعل والياً على ولاية بعيدة في بر الاناطول حيث يمكن ان يبقى عشرين

سنة ويتعذَّر عليهِ ان يزوجها هناك فلما خطبها ادهم اليهِ لم يرَ وجهًا لردهِ بل سُرَّ بذلك كثيرًا. اما ادهم فلم يخطبها لانهُ عرفها فاعجبتهُ بل لان امهُ اختارتها لهُ .

فقلتُ ولمْ يندم على ذلك لان كلاًّ منهما يحب الآخر حبًّا شديدًا

فقال نعم ولكن ادهم لا ينظر اليها كزوجتهِ بل كابنتهِ ويدللها مثل ابنة مدللة وهي تنظر اليهِ بالخوف والرهبة كانهُ شخص يُخشى ولا يُفهَم كما كنت انظر الى كتبي العربية وانا فتًى

فقلتُ ولكنك صرتَ تفهم تلك الكتب لما كبرت

فقال أتريدين انها تصير تفهمهُ مع الزمان امَّا انا فلا احب ان اتزوَّج بامرأة اعيش معها احدى عشرة سنة قبلما يزول خوفها مني

فقلت " ولكنك لست مثل ادهم بك " . وآخذتُ نفسي على ما قلت فصمتُّ حالاً

فقال كلاَّ لستُ مثلهُ اتظنين انَّ زوجتي لا تخاف مني فان كنتِ تعتقدين فيَّ هذا الاعتقاد فلماذا صرتِ تنفرين مني حديثًا قولي لي يا امينة قولي لي الحق هل تحبين داود

فلم اجبهُ . فقام ودنا مني وقال اسمعي يا امينة انت تعلمين حبي لكِ واني اريد ان اتزوَّج بك . فان كنتِ تقولين انك تفضلين رجلاً آخر عليَّ فلا حق لي عليكِ بل اتركاكِ وشأنكِ ولكن لا بدَّ لي من ان اسمع ذلك من فيكِ

فقلت لهُ هذا ضرب من المحال وانتَ تعلم انهُ لا يمكن ان يكتب كتابي عليك

فقال لماذا ذلك ألانك تحبين آخر . ستأتي وحيدة يوم الخميس والآن الاثنين ولا يمكن ان ادعكِ تمضين معها ما لَم اعلم انكِ تفعلين ذلك بارادتكِ ومن تلقاء نفسكِ . لا تظني اني اريد ان اخدعكِ او اني لا اعرف رزانة عقلكِ حتى احسب ان مقامي يغريك بما لا ترغبين فيهِ . حسبتُ مرةً انكِ صرتِ تميلين اليَّ فلما رأيتكِ تتكلمين مع داود توهمت انكِ تضحكين عليَّ واخذ مني الغيظ كل مأخذ ولكن زال مني هذا الوهم بعد ذلك . والآن لا اصدق انكِ تخدعينني. وقد اكون خادعًا نفسي وحاسبًا انك تحبينني ولستِ كذلك فان كنتِ تحبين ذلك الشاب فقولي لي وانا اتخلَّى عنكِ مهما نالني من ذلك ولكن ان كنتِ لا تحبينهُ كما ارجو الآن فلا شيء يمكن ان يحول دون اقترانكِ بك

فلم اجبهُ بل بقيتُ ساكتة ودنت اصوات الاولاد منا ورأيناهم آتين والمصباح معهم فقال لي اجيبيني يا امينة قولي لي هل تحبين داود

فقلت لهُ كلاَّ ومع ذلك لا يمكنني ان اقترن بك اتظن انني اقبل باقتران ثقاومهُ عائلتك كلها فلم يجبني بلسانهِ بل امسكني بيديهِ وضمني الى صدرهِ . فاخذت اتوسَّل اليهِ ليتركني

قائلة انك تعلم يقيناً ان اقترانا ضرب من المحال . فقال كلاَّ . ولكنهُ تركني لان ولية هانم كانت قد اقتربت منا وقال ساكلم امي بذلك الليلة

ووصلت ولية هانم الينا وقالت ما اكسلكما لماذا لم تدخلا معنا الى القاز قد انبسطنا غاية الانبساط

فقال لها نافذ بك هذا الذي يسرنا اما انا فقد كبرت عن تخريب العشاش هلمَّ نرجع اذ لا بدَّ من ان تكون امي قد استطالت غيابنا الآن

فرجعنا ووجدنا الجواري يلعبن تحت الشجر وهانم افندي في الخيمة ومعها عادلة تقص عليها بعض الاخبار ووقف نافذ بك بجانب الباب وذهب الاولاد ليلعبوا مع الجواري واتت وحيدة هانم وجلست معنا وقالت لعادلة عمَّن تتكلمين . فقالت عن ابنة محمود باشا فلينها احبت واحداً من الحرّاس الشراكسة وكان ابوها يريد تزويجها بابن عمها واشتدَّ الخصام بسبب ذلك . وقد تكاتبت هي والشركسي ووُجدت مكاتيبهُ عندها فطار عقل ابيها وامها ولو كان ابن باشا لكان الامر محتملاً ولكنهُ شركسي دونها بمراحل

ففتحك نافذ بك حتى استلقى على ظهرهِ وصرخت وحيدة هانم قائلة وما ضرَّهُ ان كان شركسياً فان اناساً كثيرين اشرف من محمود باشا زوجوا بناتهم للشراكسة . ان تزوجنَّ رجلاً اوطأ منا رتبةً لا نحط الى مرتبتهِ بل نرفعهُ الى مرتبتنا

فادركت المرأة خطأها واستدركتهُ قائلة اصبتِ يا عيني ولكن ألاَ ترين انها كانت مخطوبة لابن عمها

فقالت هانم افندي نعم وهذا فرق كبير . اما وحيدة هانم فبقيت مفتاظة وقالت ان كانت البنت لا تريدهُ وجب ان يزوجوها بالرجل الذي تريدهُ . اما انا فاظن ان الحرّاس الشراكسة افضل من اولاد الباشوات بما لا يقدَّر وقد احسنت هذه الفتاة بحبها واحداً منهم

فقال نافذ بك احسنتِ يا وحيدة ولو كان علي بك هنا لطار بك فرحاً

فقالت عادلة ان علي بك من افضل الرجال ولم أرَ رجلاً اجمل منهُ طلعةً الله يبقيك لهُ ويبقيهِ لك

فقال لها نافذ بك خففي عنك يا امَّاه فقد سامحتك وحيدة لاسيما وان علي بك ليس فيهِ شيء من طباع الشراكسة ولا اظن ان احداً يقول انهُ شركسي لانهُ من افضل الناس واطيبهم قلباً

فالتفتت ولية هانم اليَّ وقالت لي اسمعي كيف يطرئ زوجها لا بدَّ من انهُ قاصد ان

يطلب منها خدمة مهما والاَّ ما تملقها هذا التملق

فتضاحكتُ لاني كنت اعلم مرادهُ وعزمت ان احاول صرفهُ عن عزمهِ فنهضت وخرجت واشرت اليهِ وانا خارجة فادرك مرادي وتبعني وسرنا الى الكشك ووقفنا امام الشباك فقال لي ماذا تريدين . ولكن ايَّاكِ وان تحاولي صرفي عن عزمي اذ لا بدَّ لي من ان اقترن بكِ ولو قام عليَّ الثقلان

فحرت في امري لكنني قلتُ لهُ انك تعلم كما اعلم انا ان الباشا وهانم افندي وادهم بك وكل اهلك يعارضونك في ذلك وانا نفسي لا استحق ان اكون زوجةً لك لانني ابنة مسكينة فما دمتَ تفتكر بي تكون عرضة للازدراء و يظن كل احد انك فقدتَ عقلك

فتبسم وقال نعم هذا هو الصواب وقد فقدتُ عقلي . مَن كان يتغنّى بمثل ذلك امس اليس انتِ . ولما رأى اني اريد ان اتكلم قال لي اليكِ عن الكلام فاني احبكِ ولا بدَّ من ان اقترن بكِ ومتى اقترنت بكِ يصمت كل لسان ولا يعود احد يقول شيئًا

قال ذلك وادنى رأسي من كتفهِ ووضعهُ عليهِ فتركتهُ لحظة ثم تصوَّر لي حرج هذا الموقف فانهضتهُ وقلتُ لهُ كلاَّ كلاَّ هذا ضرب من المحال دعنا من المزاح يا نافذ بك افتكر بنفسك وبامك هل تجسر ان تغيظها . ولما قلت ذلك عبس فغيَّرتُ لهجتي وقلتُ لهُ انك تحب اباك فهل يمكن ان تفعل شيئًا يخجل منهُ

فنظر اليَّ عابسًا وقال لا تقولي هذه الكلمة مرة أُخرى لماذا يخجل ابي اذا اقترنتُ بكِ الستِ ابنة عفيفة طاهرة

فقلتُ ولكني ابنة حداد فانا دونك بمراحل . فقال كلاَّ لستِ دوني فاني انا وابي لا نعرف ماذا كان اصل جدنا وربما كان كنَّاسًا وهل يمكن ان نخجل من اقتراني بكِ اكثر مما نخجل من اقتراني ببوار وقد كان ابوها لصًّا ان لم يكن قاطع طريق وسفَّاك دماء

فقلت ولكنها شركسية . فقال انعم واكرم شركسية تحتالة أبهذه تشبهين فتاة لا ادب لها ولا حشمة ولا عقل لا يهمها من الدنيا الاَّ ان تقترن برجل فتخلص من العبودية واذا بعناها غدًا تحتال على اول رجل تراهُ ليشتريها ويتزوج بها . صدقيني يا امينة اني افضّل الموت على الاقتران بشركسية ولو لم ارَكِ

فجعلتُ اتوسل اليهِ ليتركني ثم التفتُّ الى باب الغرفة واذا بوار واقفة فيهِ وعيناها تقدحان شررًا . ولمَّا وقعت عيني على عينيها ادارت وجهها وخرجت مسرعةً ورأيت حينئذٍ انها اكبر عدو لي وان الانتقام في عينيها . والظاهر ان وجهي امتقع حينئذٍ ورأى نافذ بك ذلك وادار

وجههُ الى الباب وقال لي ماذا جرى ولماذا انتِ مضطربة

فقلتُ لهُ بالله عليك دعني اذهب دعني اذهب فقد عرف كل احد الآن بما دار بيننا بالله عليك قل انك كنت تمزح معي كنتَ تضحك عليَّ

فقال ولماذا اقول ذلك لماذا اقول قولاً يعود باللوم عليكِ ولو مثقال ذرة كلاَّ بل اقول الحق . الليلة أُخبر امي بما عزمتُ عليهِ . أتظنين انني رجل ضعيف العزم لا شهامة لي ولا مروَّة حتى اخاف من اقل مقاومة واتركك وحدكِ

فقلت ان نصرالله باشا يستاء من ذلك جداً . ولقد احزنتهُ كثيراً هذه السنة فكيف تستطيع ان تغيظهُ ايضاً . انتَ تعلم انهُ لا يسلِّم بذلك وانك لا تستطيع ان تفعل شيئاً على غير مرضاتهِ . ولهُ السلطة المطلقة عليك وهو من احسنِ الآباء وافضلهم واشرفهم فكيف تستطيع ان تعصاهُ فان امركَ بان تعدل عن عزمك أفلا تضطر ان تطيعهُ

فقال كلاَّ . نعم يجب عليَّ ان اطيعهُ واكرمهُ ولا احد يقول انني خالفت لهُ امراً حتى الآن ولكنهُ اذا ابى ان يسلم باقتراني بكِ لم يجب علي ان اطيعهُ لان سلطتهُ عليَّ لا تصل الى هذا الحد ولا تمنع القاضي من كتابة عقد الزيجة

فقلتُ لهُ ولكن ألا تتألَّم حينما تشعر انك أَلَمتهُ الى هذا الحد

فاطرق الى الارض وقال نعم ولا اظن ان ذلك يكون سهلاً عليَّ لان للعادة حكماً شديداً وقد اعتدت ان اطيعهُ من غير سؤال فلا يسهل عليَّ ان اخالف لهُ امراً ولكن لا بدَّ من ذلك يا عزيزتي ولا شيء يفصلنا بعد الآن لا اب ولا ام ولا اخ ولا اخت

فقلت ولكن ان كنتُ انا ارفض ذلك فهل تجرني الى امام القاضي غصباً عني

فعبس ونظر اليَّ نظر الاستفسار ثم تبسم وقال نعم ان لم تذكري لي سبباً مقنعاً غير هذا السبب . قولي انكِ تحبين آخر فاتركك ولكنكِ لا تحبين احداً كفى كفى . نعم اذا رفضتِ فانا اجركِ الى امام القاضي غصباً عنكِ

وقد سمعتُ كلماتهِ الاخيرة ولو لم اكن مصغيةً اليهِ لانني كنت اسمع وقع الخطى في الرواق وقبل ان استطيع تخليص يديَّ من يديهِ وقفت هانم افندي في الباب وقفت كالصنم لا حراك بها قامة طويلة وعينان برَّاقتان ووجه ممتقع فرأيت ان قد خانت الساعة التي كنت اخشاها ووقفتُ وقفة العاصية امام المرأة التي اقسمتُ ان لا اعصي لها امراً

ولقدَّم نافذ بك مسرعاً ووقف امامي كأنهُ يريد ان يحجبني من نظراتهِ ومن نار الغضب المتقدة في عينيها . وقال لها احسنتِ يا اماه بمجيئك الآن لان لي كلاماً اريد ان اقولهُ لكِ .

لكنها لم تصغِ الى كلامهِ بل دخلت من الباب ودخلت وراءها وحيدة هانم وتبعها الجواري كلهنَّ . ورأيت دلائل الانفة والكبر على وجه وحيدة هانم والخوف والشفقة على وجه ولية هانم وتوقُّع المكروه على وجوه الجواري وكان قلبي يخفق وفاصلي ترتجف خوفاً ومن يلومني على ذلك . من لم يعش في الحريم لا يعلم ما لربّة المنزل من السلطة المطلقة كل الذين فيهِ يخافونها ويتقون غضبها لان في يدها الحياة والموت . وكنت قد تعلمت ان انظر الى هانم افندي كصاحبة السلطة المطلقة التي لا تنازع في امرها فلما رأيتها تقترب مني والشر في وجهها ارتجت مفاصلي وخارت قواي

ووقف نافذ بك بيني وبينها وقال لها اليك عنها يا اماهُ ووجّهي كلامكِ اليَّ

فصرخت ابعدْ من وجهي ولا تقل شيئاً لاني لا اصغي الى احد حتى اقاصها كما تستحق . ثم التفتت اليَّ وقالت "من انتِ حتى تجاسري ان ترقي ابني وتسحريهِ فقد اخبرتني بوار بكل ما جرى" . وارادت ان تقبض عليَّ بيدها فمنعها نافذبك وقال لها ان مستِ هذه البنت بيدك فوحق رأس ابي لا تعودي ترين وجهي

فشمخت بانفها وقالت أإلى هذا الحد أصرتَ تأمر وتنهى ولكنك احمق ولا تعلم انها سحرتك وطمرت العوذة التي اتت بها من الساحر تحت باب غرفتك . واراك تضحك كانك لا تصدق ذلك وانا نفسي لم اصدقهُ حتى رأيت العوذة بعيني واذا راجعت حسابك رأيت انكَ مرضت بعد ما وضعتْ لك العوذة بيوم واحد فجد من طريقي ولا بدَّ من ان انتقم منها

فقال لها كلاَّ لا يمكنك ان تنعلي ذلك لانني مصمم على الاقتران بها

فهزأت بهِ وقالت اقترن بها اجننتَ . ثم نظرت اليَّ وقالت هذه هي بغيتك ولكن لا بدَّ من قتلكِ أتظنين انبي اسلم بان يقترن اسم ابني باسم ابنة حداد

فقال لها نافذ بك اليكِ عن هذا الكلام يا اماهُ فاني ساقترن بها كيفما كان الحال

فوقفتْ صامتة واتكأت على كرسي كان هناك

وناديتُ نافذ بك لاكلمهُ وحالما لفظت اسمهُ صرخت بي قائلةً ايّاكِ ان تقولي لهُ شيئاً امامي ولا يخطر ببالكِ انكِ تنجين من يدي وستعلمين قريباً انهُ كان خيراً لكِ ان تموتي قبل ان تقيسي نفسكِ بي

فقال لها نافذ بك هذا تفعلينهُ مع جواريكِ لانهنَّ لكِ واما هذه الفتاة فان مستِ شعرةً من رأسها فوحق تربة اجدادي

وقبل ان يتم كلامهُ رأيت ان الخرق كاد يتسع على الراقع فاسرعت الى هانم افندي

وانطرحت على قدميها وقلت لها لا تسمعي لهُ يا مولاتي لانهُ لا يدري ما يقول وسيرى غدًا ان ما يقصدهُ ضرب من المحال

فاصغت اليَّ اولاً ثم انحنت وامسكت شعري ولفت ضفائرهُ على يدها ولا ادري ماذا كانت عازمة ان تفعل بي ولكن نافذ بك اسرع اليها حالاً وامسك يدها بيديهِ القويتين وحلَّ شعري عنها وابعدني وقال لي اجنتِ ألا ترين انها تقتلكِ اذا دنوتِ منها

وتقدَّمت وحيدة هانم حينئذٍ وقالت لهُ ألا تخجل يا نافذ ان تمد يدك الى امك اجنت حتى تفعل ذلك اتظن ان ابي يسمح لك ان تتزوَّج هذه البنت فتلحق العار بنا كانا

فقال لها العار كل العار ان لا اتزوَّج بها بعد ان جرى ما جرى

ولما كان يتكلم التفتُّ الى الباب فرأيت نصر الله باشا وادهم بك وتقدَّم نصر الله باشا وهو عابس الوجه والتفتت اليهِ هانم افندي وقالت لهُ انظر فان امينة سحرت ابنك وهو يريد الآن ان يتزوَّج بها وقد اعتدى عليَّ بسببها وكاد يكسر يدي لانني اردت قصاصها فهل تقبل بذلك

فالتفتُّ الى نافذ بك فرأيت وجههُ اصفر كوجوه الاموات وقد اطبق فاهُ وضغط على اسنانهِ كانهُ علم ان قد وقعت الواقعة ولا بدَّ من النضال

فقال نصر الله باشا لا يصلح هذا الوقت للبحث في هذه المسألة ثم التفت الى نافذ بك وقال لهُ ان كنت لم تجنَّ تمامًا فاطلب السماح من امك واتبعني ولا بدَّ من النظر في هذه المسألة الليلة

فتقدَّم نافذ بك واخذ يد امهِ وقبلها وقال لها ان كنتُ قد اسأتُ الادب فسامحيني ولكن هذا لا يغير نسبتي الى امينة فلا بدَّ من اقترانهِ بها ودار ليخرج من الباب وقبلما خرج التفت الى ادهم بك واشار اليَّ فهم ادهم بك مرادهُ واشار اليَّ وقال بصوت جهوري تعالي يا امينة اتبعيني لآخذكِ الى غرفتك

والتفتت اليهِ هانم افندي ولكنها لم تجسر على الكلام معهُ لانها كانت تعلم انهُ اقوى منها ومدَّ ادهم بك يدهُ وامسك بيدي فسرت معهُ وسار نصر الله باشا ونافذ بك امامنا وكنت اقول في نفسي ترى هل هو مغتاظ مني كما اغتاظت امهُ واختهُ وهل صدَّق ما قالتهُ بوار ولعلهُ لم يمنع امهُ عن قتلي الاَّ لانهُ شفق عليَّ وكره ان يرى القوي يفتك بالضعيف. وتصوَّرتُ هيئة امهِ وهي قابضة على شعري فارتجفت مفاصلي كلها وكنا قد بلغنا السلاملك واخذنا نرتقي السلم الموصل الى باب الحريم

فقال اراكِ لا تستطيعين الصعود ولا غرابة في ذلك بعد ان جرى ما جرى قال ذلك ورفعني بين يديهِ كانني طفلة. فاستغربت هذه الشفقة وهذا الحنو منهُ ونظرت الى وجههِ في

نور المصابيح المعلقة في الرواق فرأيتهُ شاحباً كوجوه الاموات . وكانت الدموع تجول في عينيَّ تحاول الهطول والغيظ يمنعها فلما رأيت حنوَّهُ هطلت سخية فلم يكلمني بل فتح باب غرفتي وقال لي جرِّبي لتستريحي فانك محتاجة الى الراحة ولا تخافي من شيء الليلة ولكن ان احتجتِ اليَّ فناديني فابادر اليكِ حالاً

واردتُ ان اشكرهُ ولكنهُ اغلق الباب قبل ان اقول كلمة ومضى . ولما سمعت وقع خطاهُ على السلم وضعت المفتاح في القفل من الداخل واقفلتهُ مرتين واستلقيت على سريري وانا افكر في ما آل اليهِ امري (ستأتي البقية)

آلات الطيران

قلَّ من لم يرَ البالون من قراء المقتطف يملأُ غازاً خفيفاً وتُعلق بهِ سلَّة كبيرة يجلس فيها رجل او رجلان او اكثر فيصعد في الهواء ويجري فيهِ حسبما تسوقهُ الرياح الى ان يتعب راكبوهُ فيخرجوا بعض الغاز منهُ او الى ان يخرج منهُ الغاز من نفسهِ فيثقل ويهبط رويداً رويداً حتى يبلغ الارض اينما اتفق اراد راكبوهُ ذلك او لم يريدوا على سهل او جبل او نهر او بحيرة او شجرة او يقع في البحر الخضم

وقد تنوَّعت اشكال البالون كثيراً من حين استنباطهِ الى الآن فكان كروياً ثم كمثرياً ثم مغزلياً ثم مستطيلاً مستدقاً من احد رأسيهِ او من الرأسين معاً

واحدث هذه البالونات واكبرها وانجحها بالون الكونت فون زبلن وقد وصفناهُ في المجلد الخامس والعشرين من المقتطف وهو كبير جداً طولهُ ٤١٦ قدماً وقطرهُ ٣٨ قدماً يعلق بهِ قارب كبير يركبهُ الناس فهو سفينة هوائية تجري في الهواء كما تجري السفن في الماء . وقد بلغت سرعتهُ في الهواء الساكن ٤٨٠ متراً في الدقيقة او نحو ٣٠ كيلو متراً في الساعة لكن هذا الحجم الكبير وما يقتضيهِ من النفقات الكثيرة على قلة الجدوى منهُ او على قلة الربح التجاري يمنعان شيوعهُ شيوعاً تجارياً لاسيما وان الرياح تغير سرعتهُ وقد توقف حركتهُ فلا يمكن الاعتماد عليهِ دائماً ولا يغني عن غيرهِ من وسائل النقل

ومن البالونات التي جُرِّبت مراراً وثبت انها تدار في الهواء حسبما يشاء من يصعد فيها بالون دنيلوسكي الروسي فان لهُ جناحين كبيرين يدار بهما كيفما شاء المدير

ومن هذا القبيل بالون المسيو ديمون طولهُ ٦٥ قدماً وقطرهُ ٢٥ قدماً وهو مستدق من